# (٨٤) جعفر الخُلْدي[1]

## ذكر الشيخ جعفر الخُلْدي رحمه الله:

كان رحمه الله عالمَ زمانه، كاملاً في علم الطريقة، وكان من كبراءِ أصحاب الجُنيد وقدمائهم، وفي أنواع العلوم مُتبحّرًا، وفي معرفة الحقائق متعيّنًا، وله كلمات عالية.

نقل أنه رحمه الله حجَّ ستين حجَّةً، وكان له تلميذٌ اسمُه حمزة العلوي، ففي بعض الليالي قصدَ أن يتوجَّهَ إلى بيته، وكان له أهلٌ وعيال، وأشار إليه الشيخُ بالوقوف وعدم الرواح، ولكن أراد أهلُهُ أن يُعلّقوا طيرًا في التنور، ويطبخوا طعامًا لأطفالهم، فقال حمزةُ في نفسه: إن بتُّ الليلةَ عند الشيخ فلا بدَّ وأن أُصلّي معه الصُّبح، ثم أبقى عنده إلى صلاة الضُّحى، والأطفالُ يتأذّون بالانتظار، فتعلَّلَ بشيء، ورجع إلى منزله، فلمّا أُخرجَ الطيرُ من التنور، ووُضعَ بين يديه دخلَ من الباب كلبٌ وأخذَ الطيرَ عند غفلة الحاضرين، وهرب، فأتوا

---

(١) هو جعفر بن محمد بن نصير الخوّاص، ترجمته في: طبقات الصوفية ٤٣٤، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨١، تاريخ بغداد ٧/ ٢٢٦، الرسالة القشيرية ١٠٨، الأنساب ٥/ ١٦١، صفة الصفوة ٢/ ٤٦٨، المنتظم ٦/ ٣٩١، مناقب الأبرار ٧٨٧، معجم البلدان ٢/ ٣٨٢ (الخُلْد)، اللباب ١/ ٤٥٦، المختار من مناقب الأخيار ٢/ ٤٧، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٥٨، مرآة الجنان ٢/ ٣٤٢، الوافي بالوفيات ١١/ ١٤٢، البداية والنهاية ١١/ ٢٣٤، طبقات الأولياء ١٧٠، غاية النهاية ١/ ١٩٧، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٢٢، نفحات الأنس ٣٢٧، طبقات الشعراني ١/ ١١٨، الكواكب الدرية ٢/ ٦٥، شذرات الذهب ٢/ ٣٧٨.

قيل له الخُلدي ـ ولم يسكن محلّة الخُلْد في بغداد ـ لأنه كان يومًا عند الجُنيد، فسئل الجُنيد عن مسألةٍ، فقال الجنيد: أجبهم. فأجابهم، فقال: يا خُلدي من أين لك هذه الأجوبة. فبقي عليه.

وفي الأصل: أبو علي الفارمذي، وهو خطأ. انظر الحاشية (١) صفحة (٢٩).

بالجَواذب التي تحت الطير، فتعلّقَ ذيلُ الخادمة بشيءٍ، وانقلبَ الطعامُ على الأرض، وانصبَّ، فلمَّا أَصبحَ دخلَ على الشيخ، فحين وقعَ بصرُ الشيخ عليه، قال له: يا حمزة، من لم يحفظْ قلوبَ المشايخ يُسلّط عليه كلبٌ يؤذيه.

نقل عن أبي علي الفارَمَذي[١] رحمه الله أنه قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله، ما التصوُّف؟ فقال ﷺ: هو تركُ الدَّعوى، وإخفاءُ المعنى.

وسئل أبو علي عن التصوف، فقال: التصوُّفُ طرحُ النفس في العبودية، والانخلاعُ عن البشرية، والنظرُ إلى الله تعالى بالكلّية[٢].

وسئل عن تلوين الفقراء، فقال: تلوينُهم ـ أي انتقالهم[٣] من حالٍ إلى حال ـ لأجل زيادتهم وتكميلِ أحوالهم، لأنَّ من ليس له تلوينٌ ليس له زيادةٌ.

وقال: إذا رأيتَ فقيرًا يأكلُ كثيرًا فاعلمْ أنّه لا يخلو عن أحوالٍ ثلاثة: إما أنّه قد مضى عليه وقتٌ لم يكنْ فيه كما ينبغي، أو يأتي عليه وقتٌ لا يكونُ فيه كما ينبغي ـ أي كان فيه خلل ـ أو يكون فيه خللٌ وكثرة لأجلِ ذلك أو لأنّه لا موافقةَ له في حاله.

سُئل عن التوكل، فقال: التوكُّلُ هو أن يكونَ القلبُ على حالةٍ واحدة في الفقر والغنى؛ بل يكون له طربٌ مع الفقر، لا يكونُ مثلُه مع الغنى، فحقيقةُ التوكُّلِ هو الاستقامةُ مع الله في الحالين.

وقال: خيرُ حالات الدنيا والآخرة في صبرِ ساعةٍ.

وقال: الفتوّةُ هي تحقيرُ النفس، وتعظيمُ أهل الإسلام.

وقال: العقلُ ما يُبعدك عن مواردِ الهلكات.

وقال: كنْ لله عبدًا خالصًا ليحفظَكَ عن الأغيار.

---

(١) في (أ) و(ب): وسئل أبو علي عن التصوف. والقول منسوب لأبي تراب النخشبي عن التوكل، انظر الرسالة القشيرية ٢٦٣ ومناقب الأبرار ٣١٥.

(٢) كذا الأصل، ولم أجد هذا القول في المصادر التي بين يدي، ولعلّ نسبته إليه خطأ.

(٣) الأصل: إلى انتقالهم.

وقال: سعيُ الأحرار إنَّما هو للإخوان لا لأنفسهم.

وقال: كن شريفَ الهمَّةِ لا دنيَّها، فإنَّ الوصولَ إلى مقامِ الرجال إنَّما هو بشرفِ الهمَّةِ لا بالمجاهدة.

وقال: إنَّ العبدَ لا يجدُ لذَّةَ المعاملة مع لذَّةِ النفس؛ لأنَّ أهلَ الحقائق قطعوا العلائقَ التي كانت تقطعهم عن الحقِّ تبارك وتعالى.

وقال: مَنْ لا يجتهدُ في المعرفة لا تُقبلُ منه الخدمة.

نقل أنه كان له فصٌّ وقعَ في دجلة وضاع، ثم وجده بين كتبه[1].

وقال أبو نصر السراج رحمه الله: إنّ أبا عليٍّ رحمه الله كان يَدعو بهذا الدعاء: يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمعْ عليَّ حالي.

مات ببغداد، ودُفن بالشُّونيزية في قرب السَّريِّ والجُنيد رحمهم الله تعالى ونوّر قلوبنا بأنوارِ الهداية واليقين، وصلّى الله على سيِّدنا محمدٍ وآله وصحبه أجمعين.

* * *

(١) في طبقات الصوفية ٤٣٧: كنْ للهِ عبدًا حالصًا، تكن عن الأغيار حرًّا.
جاء في تاريخ بغداد ٨/ ١٤٨ (طبعة دار الغرب الإسلامي؛ تحقيق الدكتور بشار عواد معروف).

قال جعفر الخُلْدِي: وذعت في بعض حجاتي المُزَيّن الكبير الصُّوفي، فقلت: زوِّدني شيئًا. فقال: إنْ ضاع منك شيءٌ، أو أردتَ أن يجمعَ اللهُ بينك وبينَ إنسانٍ، فقل: يا جامعَ الناس ليوم لا رَيْب فيه إنَّ الله لا يُخلف الميعاد، اجمع بيني وبين كذا وكذا، فإنَّ الله يجمع بينك وبين ذلك الشيء، أو ذلك الإنسان. فجئتُ إلى الكَتَّاني الكبير الصُّوفي فودَّعته، وقلت: زوِّدني شيئًا. فأعطاني فَصًّا عليه نَقشٌ كأنه طلسم، وقال: إذا اغتَمَمْتَ فانظرْ إلى هذا؛ فإنه يزول غمُّك. قال: فانصرفتُ، فما دعوتُ الله بتلك الدَّعوة في شيءٍ إلاّ استُجيب، ولا رأيتُ الفَصَّ وقد اغتممتُ إلاّ زال غَمِّي، فأنا ذات يوم قد توجَّهتُ أعبر إلى الجانب الشرقي من بغداد حتى هاجت ريحٌ عظيمةٌ وأنا في السُّمَيْريَّة، والفَصُّ في جيبي، أخرجته لأنظر إليه، فلا أدري كيف ذهب منّي، في الماء، أو السفينة، أو ثيابي؟ فاغتممتُ لذهابه غمًّا عظيمًا، فدعوتُ بالدَّعوة وعَبَرْتُ، فما زلتُ أدعو الله بها يومي وليلتها ومن غدٍ وأيامًا، فلمّا كان بعد ذلك أخرجتُ صُندوقًا فيه ثيابي لأغيِّرَ منها شيئًا، ففرغتُ الصُّندوق، فإذ بالفَصِّ في أسفل الصُّنْدوق، فأخذتُه وحمدتُ الله على رجوعه.